الفصل الثالث

جهود الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ في توضيح النبوات

تمهيد: تعريف النبي والرسول لغةً وشرعاً:

أولاً: تعريف النبي والرسول لغةً:

النبي لغةً مشتق من النبأ؛ وهو الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿عم يتساءلون * عن النبأ العظيم﴾[1].

وقيل: إن النبي مأخوذ من النبوة، والنباوة؛ وهي الارتفاع؛ لارتفاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق. فأصله غير مهموز. وقيل: النبي: الطريق. والأنبياء طرق الهدى[2].

أما الرسول لغةً: فهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رسلاً، أي متتابعة.

والرسول: اسم من أرسلت. وأصل الرِسل: الانبعاث على التؤدة[3].

ثانياً: تعريف النبي والرسول شرعاً:

تعددت الآراء في تعريف النبي والرسول إلى أقوال كثيرة[4]، وأشهرها:

أن الرسول مَنْ أُوحي إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه. والنبي من أُوحِي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغَه[5].

---

(١) سورة النبأ، الآيتان [١-٢].

(٢) انظر: الصحاح للجوهري ١/ ٧٤. وتهذيب اللغة ١٥/ ٤٨٦. والمفردات للراغب الأصفهاني ص٤٨١-٤٨٢. ولسان العرب١/ ١٦٢.

(٣) انظر تهذيب اللغة١٢/ ٣٩١. والمفردات للراغب الأصفهاني ص١٩٥. ولسان العرب ١١/ ٢٨٤.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٥٤. وإعلام النبوة للماوردي ص٣٧-٣٨.

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧. ولوامع الأنوار البهية ١/ ٤٩.

وهذا التفريق لايسلم من الاعتراض؛ لأن الإنسان الذي دون النبي مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبلاغ الناس أمور دينهم، وعدم كتمان العلم. فكيف بالنبي الذي هو منبأ عن الله سبحانه وتعالى؛ لاشك أن مسؤوليته أعظم، وموقفه أخطر. وقد دلت النصوص على أن الأنبياء مأمورون بالإبلاغ؛ فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾[1]، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم: «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد.»[2].

لذلك لم يرتض الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ هذا التعريف، وبين تعارضه مع النصوص، فقال في معرض الرد عليه موضحاً القول الحق في هذه المسألة: «وآية الحج هذه[3] تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه: غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾[4] يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير. واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول؛ هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾[5]»[6].

(١) سورة الحج، الآية [٥٢].
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٧/ ١٩٩. ومسلم في الصحيح ١/ ١٩٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.
(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي﴾.
(٤) سورة الحج، الآية [٥٢].
(٥) سورة المائدة، الآية [٤٤].
(٦) أضواء البيان ٥/ ٧٣٥. وانظر رحلة الحج ص ١٣٦-١٣٧.

وهذا التعريف الذي أخذ به الشيخ الأمين رحمه الله أسلم من غيره من التعريفات؛ لذلك ارتضاه غير واحد من العلماء السابقين؛ منهم البيضاوي[1] ـ رحمه الله ـ الذي قال في الفرق بين النبي والرسول: «الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه، ومن بعثه لتقرير شرع سابق؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام. لذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم، فالنبي أعم من الرسول»[2].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعريف قريب من هذا التعريف؛ يقول فيه رحمه الله: «فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول. . . . إلى أن قال: فقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾[3] دليل على أن النبي مرسل، ولايسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لايعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم، ولهذا قال ـ النبي صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء.»[4]»[5].

---

(١) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي. ولد في مدينة البيضاء بفارس، وتوفي سنة [١٠٦٨٥].
(انظر: البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٧. وشذرات الذهب ٥/ ٣٩٢. والأعلام ٤/ ١١٠).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤/ ٥٧.
(٣) سورة الحج، الآية [٥٢].
(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٥٧، رقم ٣٦٤١. وقال الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٧٤، رقم ٢١٢): إسناده حسن.
(٥) النبوات ص ٢٥٥-٢٥٦.

المبحث الأول

الإيمان بالأنبياء

المطلب الأول

دعوة الأنبياء واحدة

جميع الرسل متفقون في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك؛ فالغاية التي بعثوا من أجلها: إفراد الله بالعبادة، والنهي عن جميع الموبقات؛ من الكفر والفسوق والعصيان؛ فالشرائع كلها تدعو إلى هذه الغاية العظيمة، فهذه مهمة جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى رسولنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكل واحد من الأنبياء والرسل، عليهم السلام، يقول لقومه: ﴿اعبدو الله ما لكم من إله غيره﴾[1].

وقد اهتم الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بتوضيح هذه المسألة الجليلة التي هي وسيلة لأعظم غاية من أجلها خلق الخلق وأوجدت الكائنات؛ فقال رحمه الله: «كل دعوات الرسل هي مضمون " لا إله إلا الله " التي قام عليها أمر السموات والأرض، وخلقت من أجلها الجنة والنار، وبعث رسل الله عليهم الصلاة والسلام. ولهذا كان كل رسول إنما يبدأ قومه بالدعاء إليها، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[2]»[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية [٢٣].

(٢) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].

(٣) معارج الصعود، ص ١٣٦.

وأوضح الشيخ رحمه الله في موضع آخر أن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل: لأن دعوتهم واحدة؛ فكلهم يدعو إلى التوحيد الخالص؛ فقال رحمه الله: «إن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر؛ لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون "لا إله إلا الله" كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[2] وقوله تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[3]. وأوضح تعالى أن من كذَّب بعضهم فقد كذَّب جميعهم، في قوله تعالى: ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً* أولئك هم الكافرون حقاً﴾[4]، وأشار إلى ذلك في قوله: ﴿لانفرق بين أحد من رسله﴾[5]، وقوله: ﴿لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾[7]. وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾[8]، ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحاً

(١) سورة النحل، الآية [٣٦].
(٢) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].
(٣) سورة الزخرف، الآية [٤٥].
(٤) سورة النساء، الآيتان [١٥٠-١٥١].
(٥) البقرة، الآية [٢٨٥].
(٦) سورة البقرة، الآية [١٣٦].
(٧) سورة النساء، الآية [١٥٢].
(٨) سورة الشعراء، الآية [١٠٥].

وحده، حيث أفرد ذلك بقوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون - إلى قوله: ﴿قال ربّ إنّ قومي كذّبون﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾[2]، ثم بين أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث أفرده بقوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾[3]. ونحو ذلك في قوله تعالى، في قصة صالح وقومه، ولوط وقومه، وشعيب وأصحاب الأيكة، كما هو معلوم، وهو واضح لاخفاء فيه. ويزيده إيضاحاً قوله ـ صلى الله عليه وسلم: «إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد.»[4]؛ يعني أنهم كلهم متفقون في الأصول، وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع»[5].

وفي موضع آخر أشار الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ إلى أن نبينا محمداً، صلى الله عليه وسلم، هو أشد الأنبياء احتياطاً في حماية جناب التوحيد الذي هو أصل دعوة الرسل. فقال رحمه الله: «فإخلاص العبادة لله وحده هو دعوة عامة الرسل، وأشدهم فيه احتياطاً خاتمهم، صلى الله عليه وسلم، ولذا منع بعض الأمور التي كانت مباحة عندهم احتياطاً في توحيد الله في عبادته جلّ وعلا؛ فالسجود لمخلوق في شريعته السمحة كفر بالله تعالى مع أنه كان جائزاً في شرع غيره من الرسل عليهم الصلاة

---

(١) سورة الشعراء، الآية [١٠٦-١١٧]

(٢) سورة الشعراء، الآية[١٢٣].

(٣) سورة الشعراء، الآية [١٢٤].

(٤) مروي عن أبي هريرة من طرق متعددة، وبألفاظ متقاربة؛ رواه البخاري في الصحي ٤/ ١٤٢. ومسلم في الصحيح ٤/ ١٨٣٧. والعَلاَّت جمع علّة وهي الضرة فهم بنو رجل واحد من نسوة شتى. انظر (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٩١).
وقال ابن حجر - في معنى الحديث-:
«إن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع. وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة». فتح الباري (٦/ ٤٨٩.)

(٥) أضواء البيان ٧/ ٨٢٧-٧٢٨.

والسلام. كما قال تعالى عن يعقوب وأولاده في سجودهم ليوسف: ﴿وخروا له سجداً﴾[1]، ولذلك أمر نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول للناس: إنه ما أوحي إليه إلا توحيد الله تعالى في عبادته في قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾[2].

وقد تقرر عند الأصوليين والبيانيين أن لفظ «إنما» من أدوات الحصر، فدلت الآية على حصر الموحى إليه ـ صلى الله عليه وسلم- في أصله الأعظم الذي هو لا إله إلا الله؛ لأنها دعوة جميع الرسل، وغيرها من شرائع الإسلام وفروعها التابعة لها. ولهذا صار مكذب رسول واحد مكذباً لجميع الرسل؛ لأن دعوتهم واحدة»[3].

وهكذا يتضح لنا اهتمام الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ ببيان هذه المسألة العظيمة؛ حيث أقام الأدلة على أن الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، وأن أصل دينهم واحد، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كلام في «العقيدة التدمرية» يؤيد ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله؛ فقد أوضح رحمه الله أن جميع الأنبياء على دين الإسلام، وأن رأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث الله جميع رسله عليهم الصلاة والسلام[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٠].

(٢) سورة الأنبياء، الآية [١٠٨].

(٣) رحلة الحج، ص ١٣٤.

(٤) انظر العقيدة التدمرية، ص١٦٧, ١٧٤.

المطلب الثاني

الرسل لايعلمون الغيب

علم الغيب من خصائص الألوهية، وليس من صفات الأنبياء؛ لأنهم بشر اصطفاهم الله لتبليغ أوامره ونواهيه، ولايعلمون من المستقبل إلا ما أطلعهم الله عليه، وأذن لهم به.

وقد تناول الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ هذا الموضوع بذكر الأدلة التي تؤكد عجز الأنبياء عن الإطلاع على أمور كانت تخصهم، وأحوال كانوا عاجزين عن معرفة الحقيقة فيها؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[1]: «وهذه الآية الكريمة تدل على أن الغيب لايعلمه إلا الله، وهو كذلك، لأن الخلق لايعلمون إلا ماعلمهم خالقهم جل وعلا. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: من زعم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم ـ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[2]. أخرجه مسلم[3]»[4].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أن الله أمر نبيه، صلى الله عليه وسلم، في هذه الآية أن يعلن للناس أنه لايعلم الغيب، وذلك في قوله: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما

(١) سورة الأنعام، الآية [٥٩].
(٢) سورة النمل، الآية [٦٥].
(٣) صحيح مسلم ١/ ١٥٩.
(٤) أضواء البيان ٢/ ١٩٥.

يوحى إلي﴾[1]، ثم ساق رحمه الله أمثلة ووقائع حصلت للرسل تدل على أنهم لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه؛ فذكر أولاً أمثلة ووقائع حصلت لرسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ تدل على أنه لايعلم الغيب، ثم أتبعها بوقائع حصلت لعدد من الأنبياء ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، تدل أيضاً على أنهم لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه؛ فقال رحمه الله: «لما رميت عائشة رضي الله عنها بالإفك لم يعلم؛ أهي بريئة أم لا، حتى أخبره الله تعالى بقوله: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾[2]. وقد ذبح إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عجله للملائكة، ولا علم له بأنهم ملائكة حتى أخبروه، وقالوا له: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾[3]. . ولما جاءُوا لوطاً لم يعلم أيضاً أنهم ملائكة، ولذا ﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾ يخاف عليهم من أن يفعل بهم قومه فاحشتهم المعروفة، حتى قال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾، ولم يعلم خبرهم حتى قالوا له: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾الآيات[4]. . ويعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن على يوسف، وهو في مصر لايدري خبره حتى أظهر الله خبر يوسف. وسليمان عليه السلام، مع أن الله سخر له الشياطين والريح، ما كان يدري عن أهل مأرب قوم بلقيس حتى جاءه الهدهد، وقال له: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبإ يقين﴾الآيات[5]. ونوح ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ ما كان يدري أن ابنه الذي غرق ليس من أهله الموعود بنجاتهم، حتى قال: ﴿ربّ إن ابني

(١) سورة الأنعام، الآية [٥٠].
(٢) سورة النور، الآية [٢٦].
(٣) سورة هود، الآية [٧٠].
(٤) سورة هود، الآيتان [٨٠-٨١].
(٥) سورة النمل، الآيات [٢٢-٢٨].

من أهلي وإن وعدك الحق﴾الآية[1]، ولم يعلم حقيقة الأمر حتى أخبره الله تعالى بقوله: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[2]. وقد قال تعالى عن نوح في سورة هود: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾[3]. والملائكة عليهم الصلاة والسلام لما قال لهم: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾[4]»[5].

ثم عقب رحمه الله على هذه الأمثلة بقوله: «فقد ظهر أن أعلم المخلوقات - وهم الرسل - ، والملائكة لايعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى. وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ما شاء؛ كما أشار له بقوله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾[6]، وقوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا* إلا من ارتضى من رسول﴾[7]»[8].

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: «وقد أطلع الله جل وعلا نبينا صلى الله عليه وسلم، على أمور كثيرة من المغيبات، حتى إنه قام ذات يوم يخطب في قومه من بعد صلاة الفجر حتى الظهر، ثم صلى الظهر وقام

(١) سورة هود، الآية [٤٥].
(٢) سورة هود، الآية [٤٦].
(٣) سورة هود، الآية [٣١].
(٤) سورة البقرة، الآيتان [٣١-٣٢].
(٥) أضواء البيان ٢/ ١٩٥-١٩٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية [١٧٩].
(٧) سورة الجن، الآيتان [٢٦-٢٧].
(٨) أضواء البيان ٢/ ١٩٦-١٩٧.

يخطب فيهم حتى صلى العصر، ثم قام يخطب حتى صلى المغرب، وذكر أموراً كثيرة هائلة في ذلك اليوم، حفظها من حفظ، ونسيها من نسي[1].

وقد أخبر الله جل وعلا أنه هو المختص بعلم الغيب، حيث نفاه عن كلّ أحد سواه، وأثبته لنفسه، كما قال سبحانه: ﴿قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾[2]»[3].

وقد سئل رحمه الله: أيجوز إطلاق علم الغيب على أحد من الرسل الذين أطلعهم الله على بعض المغيبات، كما يطلق على الذي يعلم مسائل الفقه أنه فقيه، أم لايجوز ذلك؟.

فأجاب ـ رحمه الله ـ على هذا السؤال إجابة مفصلة قال فيها: «إن ذلك لايجوز أبداً، لأن علم الغيب صفة مختصة بالله تعالى، وقد نفاها عن كل خلقه. وكونه يطلع بعض خلقه على بعض الغيب لايقتضي أن يوصفوا بما وصف به، وليس هذا من تعظيم الرسل كما يزعم بعضهم، بل إن تعظيم الرسل في نفي علم الغيب عنهم؛ لأنهم هم الذين أخبرونا أن علم الغيب مختص بالله تعالى، وأنهم لايعلمون إلا ما علمهم به هو. وفرق بعيد بين ما ذكر من كون من يعلم بعض المسائل الفقهية يطلق عليه أنه فقيه، وبين من أطلعه الله على بعض الغيب؛ فإن الأول علم مسائل الفقه بملكة راسخة فيه يستطيع بها أن يصل إلى علم المسائل باستمرار. أما الثاني فلا طريق له إلى الوصول إلى علم الغيب فيه إلا ما أخبره الله به. وهذا آخر الرسل وأفضلهم؛ نبينا صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى عنه: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من

---

(١) انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢١٧.

(٢) سورة النمل، الآية [٦٥].

(٣) معارج الصعود، ص ١٠٢.

الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[1]. والله جل وعلا يخاطب خلقه بقوله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[2]: فهل فطن الذين يزعمون أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ علم كل المغيبات لهذه الآيات وأمثالها مما يصعب حصره، ثم هو صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في آخر حياته يقول: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة»[3]. وقد سبق أن الله تعالى أطلعه على كثير من المغيبات، ومما أخبر به ووقع ما جاء في صحيح مسلم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «والذي نفسي بيده لتتركن القلاص[4] فلا يسعى عليها»[5]. ومن أكثر الناس حفظاً ورواية لما أخبر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المغيبات: حذيفة وأبو هريرة رضي الله عنهما»[6].

(١) سورة الأعراف، الآية [١٨٨].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٨٥].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٢٨. ومسلم في صحيحه ٢/ ٨٧٩، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) القلوص من النوق: الشابة. وهي من النوق بمنزلة الجارية من النساء. وجمعها قلص - بضمتين -، وقلائص. وجمع القلص: قلاص. (مختار الصحاح للرازي، ص٥٤٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٦، من حديث أبي هريرة، وقد ذكره الشيخ الأمين رحمه الله بالمعنى، وليس فيه: والذي نفسي بيده.

(٦) معارج الصعود، ص ١٠٣-١٠٤. وانظر: المصدر نفسه، ص ١١٢. وأضواء البيان ٢/ ٣٤٠. ودفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٣٠٢.

المطلب الثالث

عصمة الأنبياء

الله سبحانه وتعالى اصطفى لرسالته وتبليغها أفضل خلقه، وأكملهم خلقاً وخُلقاً، وعصمهم من الزلات والخطايا، وبرأهم من كل عيب مَشين، حتى يؤدوا أمانة الوحي إلى أممهم.

والأنبياء هم قدوة البشر، وطرق الهدى، ومصابيح الدجى؛ فهم الهداة الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم؛ قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[2]

وقد أوضح الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ هذه المسألة، وأبان التفصيل فيها مبيناً الإجماع على القول بعصمتهم في التبليغ، وذاكراً الخلاف في عصمتهم من الصغائر، ومؤكداً أن الصغائر إذا صدرت منهم فإنهم سرعان ما يتوبون إلى الله وينيبون إليه، فتكون كأن لم تكن، وينالون بذلك منزلة أعلى من منزلتهم السابقة؛ فقال رحمه الله: «واعلم أن جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ. واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في الأصول. ولاشك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [٧٣].

(٢) سورة الأنعام، الآية [٩٠].

حتى يبلغوا درجة أعلى من درجة من لم يقع منه ذلك، كما قال هنا: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[1]»[2].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر بعد أن ذكر أقوال العلماء في عصمة الأنبياء: «الذي يظهر لنا أن الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصاً فيهم صلوات الله وسلامه عليهم. ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب فإنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص وصدق الإنابة إلى الله، حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى* ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[3] فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه واجتبائه؛ أي اصطفائه إياه وهدايته له. ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى»[4].

وقول الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ مطابق تمام المطابقة لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الذي قال: «الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه.. - إلى أن قال رحمه الله -:

(١) سورة طه، الآيتان [١٢١-١٢٢].
(٢) أضواء البيان ٤/ ٥٢٢-٥٢٣.
(٣) سورة طه، الآيتان [١٢١-١٢٢].
(٤) أضواء البيان ٤/ ٥٣٨.

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع . . والقول الذي عليه جمهور الناس - وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف - إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً»[1].

(١) فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٢٨٩-٢٩٣. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٣١٩-٣٢٠، ١٥/ ١٤٧-١٤٨.

المطلب الرابع

أولو العزم من الرسل

أشار الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ إلى أن أولي العزم من الرسل خمسة، هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾[1].

ولم يرتض ـ رحمه الله ـ قول من قال: إنهم جميع الرسل، بل قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾[2]: «اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً، وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب، والشورى؛ وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصبر كما صبروا أربعة، فصار هو صلى الله عليه وسلم خامسهم. واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن لفظة «من» في قوله: ﴿من الرسل﴾ بيانية[3] يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية: كقوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت﴾ الآية[4]؛ فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس؛

(١) سورة الأحزاب، الآية [٧].

(٢) سورة الأحقاق، الآية [٣٥].

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٩؛ فقد ذكر اختلاف العلماء في تحديد أولي العزم من الرسل، ونقل عن ابن زيد قوله: إنهم جميع الرسل.

(٤) سورة القلم، الآية [٤٨].

لأنه هو صاحب الحوت. وكقوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[1]. فآية القلم، وآية طه المذكورتان، كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل، والعلم عند الله تعالى»[2].

وما قرره الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ هو المشهور عند العلماء. قال السفاريني[3] رحمه الله: «أهل العزم: أي أهل الثبات والجد من الرسل، وهم على المشهور: إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الروح، ونوح النجي، فيكونون خمسة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾[4]؛ فإنهم أصحاب الشرائع، وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيماً له، وتكريماً لشأنه. وهؤلاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها، وصبروا على تحمل المشاق من قومهم، ومعاداة الطاغين فيها»[5].

---

(١) سورة طه، الآية [١١٥].

(٢) أضواء البيان ٧/ ٤٠٨. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٥٢٣، ٦/ ٥٧٢.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) سورة الأحزاب، الآية [٧].

(٥) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٩.

المطلب الخامس

هل آدم رسول أم نبي؟

وردت في القرآن أدلة تشعر بأن آدم عليه السلام هو أول الرسل؛ مثل قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربه﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾[3].

قال الإمام الطبري[4] رحمه الله في تفسيره: «لأن آدم كان هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده، فغير جائز أن يكون معنياً - وهو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم - بقوله: «فإما يأتينكم مني هدى» خطاباً له ولزوجته: فإما يأتينكم مني هدى، أنبياء ورسل إلا على ما وصفت من التأويل»[5].

وقال القرطبي[6] رحمه الله: «سئل رسول الله صلى ـ الله عليه وسلم ـ عن آدم: أنبي مرسل هو؟ فقال: «نعم، نبي مكلم»[7]، قال ابن عطية[8]:

---

(١) سورة النحل، الآية [٣٦].

(٢) سورة طه، الآية [١٢٢].

(٣) سورة البقرة، الآية [٣٨].

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) جامع البيان ١/ ٢٤٧.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي امامة، ولفظه: أن رجلاً قال: يارسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم، مكلم». (الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٨/ ٢٤).

(٨) هوالعلامة أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي. كان إماماً في الفقه والتفسير واللغة العربية. ولد سنة [٤٨٠هـ]، وتوفي سنة [٥٤١هـ]. (انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٦. والأعلام ٣/ ٢٨٢- إلا أنه ذكر أنه ولد سنة [٤٨١هـ]، وتوفي سنة [٥٤٢هـ]).

وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى»[1].

وفي المقابل وردت أدلة تثبت أن آدم عليه السلام لم يكن رسولاً؛ منها: قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: «فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض»[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أول نبي أرسل نوح»[4].

وقد جمع الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بين هذين القولين؛ فقال رحمه الله: «والظاهر أنه لاطريق للجمع إلا من وجهين؛ **الأول:** أن آدم أرسل لزوجه وذريته في الجنة، ونوح أول رسول أرسل في الأرض. ويدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ويقول: «ولكن ائتوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» الحديث[5]؛ فقوله: «إلى أهل الأرض» لو لم يرد به الاحتزاز عن رسول بعث لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشواً، بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا، ويستأنس له بكلام ابن عطية[6]»[7].

ثم ذكر رحمه الله **الوجه الثاني**، فقال: «إن آدم أرسل إلى ذريته وهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية[٢١٣].

(٣) انظر صحيح مسلم ١/ ١٨٤-١٨٥.

(٤) رواه الديلمي في مسنده، وضعف الألباني إسناده، وقال: «لكن الحديث صحيح؛ فإن له شاهداً قوياً عن أبي هريرة مرفوعاً». (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٢٨٠).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح ٨/ ١٧٢. ومسلم في الصحيح ١/ ١٨٤.

(٦) انظر الجامع القرآن ٣/ ١٧٢.

(٧) أضواء البيان ١/ ٢٨٦.

على الفطرة لم يصدر منهم كفر فأطاعوه. ونوح هو أول رسول أرسل لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراك بالله تعالى، ويأمرهم بإخلاص العبادة له وحده. ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ الآية[1]؛ أي على الدين الحنيف، أي حتى كفر قوم نوح. وقوله: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾ الآية[2]، والله أعلم.»[3].

وهذا جمع حسن؛ وفق الشيخ رحمه الله من خلاله بين أدلة الفريقين، ولم يرجح قول أحدهما على الآخر.

وللشيخ حافظ حكمي[4] رحمه الله كلام مماثل للوجه الأخير من كلام الشيخ الأمين رحمه الله، قال فيه: «إن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[5]؛ لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل، كما قال تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾[6]، وإلا فآدم قبله كان نبياً رسولاً، وكان الناس أمة واحدة على دينه»[7].

---

(١) سورة يونس، الآية [١٩].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢١٣].

(٣) أضواء البيان ١/ ٢٨٦.

(٤) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. إمام وعالم سلفي. ولد سنة [١٣٤٢هـ] بقرية السلام بالقرب من جيزان. كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم. توفي نسة [١٣٧٧هـ]. (انظر: الأعلام ٢/ ١٥٩. والمستدرك على معجم المؤلفين، ص ١٨٣).

(٥) سورة النساء، الآية [١٦٣].

(٦) سورة غافر، الآية [٥].

(٧) معارج القبول ٢/ ٩٨.